مواجهات

اميل حبيبي ، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل ، (حيفا ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٧٤)

في اللوحة السادسة من لوحات « سداسية الايام الستة » كتب اميل حبيبي يقول : « هذه القصة التي بين ايديكم الان ، ايضا ، لم اكن أنا واضعها ، ولكنني أعدت كتابتها مرة ، وأعدت كتابتها مرتين ، وثلاث مرات ، حتى اخفي معالمها عن أصحابها فلا أشقيهم فشقيت ، وحتى أخفي معالمها عن حابسيهم فلا أثيرهم ، فثرت » . وهذه الفقرة في واقع الامر ذات دلالة مهمة . فهي تلقي الضوء على عملية الابداع الادبي كما يراها اميل حبيبي عامة ، وعلى الابداع القصصي بصورة خاصة . فاميل حبيبي كاتب من الجيل المتقدم ، لكننا لم نستطع ان نلم بمحاولاته القصصية التي نشرها قبل السداسية ، وازاء هذا لا بد من الاتكاء على هذه الفقرة ، للاهتداء الى مفتاح نلج بواسطة عالم (أبي سلام القصصي).

فالقصة عنده ، اذن ، ليست خيالا محضا ، ولا واقعا حرفيا متكلسا على نفسه ، ان الجماهير هي التي تضع القصة ، وما على الكاتب الا ان يصوغها مرات ومرات طبقا لما تفرضه وسائله الفنية التي تمكنه من سكب افكاره في قوالبها . ومع ان اميل حبيبي يعترف بأن اعادة صياغة الواقعة قد تتم من أجل عدم مواجهة الواقع بصلابته الجافية ، الا انها لا تسلمه من المعاناة . كان الكاتب يحاول تجنيب أبطال قصته الشقاء فشقي هو نفسه . وكان يريد تجنيب حابسيهم الاثارة فأثير هو نفسه . فمخاض القلق الفني لا ينجب الارتياح ، والهدوء ، بقدر ما ينجب التأزم ، والقلق .

ويمضي اميل حبيبي الى القول : « فلفحة الالم تعتمل في صدر الكاتب تسعة أشهر ، تسعة أعوام ، العمر كله ، حتى تعصف به آلام المخاض فيلدها قصة ، اذا تنفست هواء ارضنا عاشت ، وأما اذا هبطت علينا من كوكب آخر ، لا يتنفسون فيه هواء كوكبنا ، اختفت ... وولدت ميتة » .

يؤكد اميل حبيبي في النص السابق على أمر ذي أهمية ، وهو ان العمل الفني يولد في أحضان الالم ، بل ان بذرة العمل الفني تنمو في نفس الكاتب كما ينمو الجنين في الرحم . وحين يتشكل العمل ، وينسكب في صورته المادية ، تصاحبه آلام تهون معها آلام الولادة . والقصة ــ الجنين ــ حين تخرج من رحم النفس المبدعة لا تبقى في فراغ بل تأوي الى رحم الارض ، أي رحم الواقع . فقصص الابراج العاجية لا تكتب لها الحياة ، ولا تكسب البقاء والديمومة .

مثل هذه المداخل لعالم اميل حبيبي القصصي ، ضروري جدا التعرف عليها والالمام بها . والسبب هو اننا نفسر بواسطتها طريقته الخاصة في خلق وتركيب البنية القصصية ، هذه البنية التي لا يشاركه في صفاتها ، وطبيعتها أحد .

والذي يهمنا ، من السداسية ، في المقام الاول، الاجابة على السؤال التالي: « هل نعد السداسية من الادب الروائي ، أم انها من القصص القصيرة ؟ » ولسنا وحدنا الذي اثار هذه القضية ، فالكتاب أخضع لمثل هذه المناقشة من قبل . فهذا رجاء النقاش يقول : « القصة هي رواية قصيرة كتبها المؤلف على شكل ست لوحات، او ست قصص قصيرة »(١). أما محمد دكروب فيذكر انها : « سلسلة اقاصيص ، او حكايات ، او قصة طويلة ، او رواية »(٢). أما أحمد سعيد